مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

(الأنا والآخر في شعرابن خاتمة الانصاري)
(الأنا المتفكهة أنموذجاً)

أ.م. د : فائزة رضا شاهين / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية
السيد : أيوب محسن عبد / طالب ماجستير في قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة تكريت
aywb71154@gmail.com

abctract
the cheerful and upbeat soul had a prominent presence in ibn al- khatimas poetry , and included anticipating the arrval of the winter season , as well as the advent of spring , and the joy of the soul with gifts that came from frends .

توطئة:

استحقت الفكاهة اهتمام الفلاسفة والكتاب والادباء قديما وحديثا ,لكنها لم تنل ما تستحقها من الدراسة في العصور الوسطى والقديمة ,اذا كانت نظرة الأدباء الى موضوع الفكاهة نظرة يشوبها الا مبالاة وقلة الاهتمام, لاسيما لدى علماء السلوك الاجتماعي والفلسفة . ولعل السبب في انصراف العلماء عن دراسة الفكاهة يعود الرأي السائد الذي يرى الفكاهة نشاط غير ذي فائدة ,لأنها حسب رأيهم لا تقوم بدور قيمي داخل المجتمع , وأنها لا تقدم هدفاً نفعياً ,الا ان بعض علماء الاجتماع في قرن العشرين , وبعد تطور الدراسات السلوكية , قد أدركو الدور الكبير الذي تقوم به الفكاهة من أجل اخراج الناس ما في داخلهم والتعبير عن ارائهم الفكرية , ومعتقداتهم الاجتماعية ومدى ارتباط كل ذلك بالواقع الانساني. وقد تبين وبشكل جلي وواضح ,ما للفكاهة من اسلوب تعبيري متميز , وقد تميز بها الانسان من سائر الكائنات والمخلوقات التي خلقها على وجه الأرض ,كما وتميزت الفكاهة بغنى مفرداتها اذ ينتج عنها كلمات تشترك معها في المعنى.

اما من الناحية اللغوية فقد زخرت لغتنا العربية بكلمات تدل على الفكاهة والضحك والسرور بأنواعه وقد ذكر ابن سيدة "ان الفكاهة هو المزاح والتفاكه التمازح وفكهة القوم بملح الكلام "[1]كما وذكر الزمخشري" الفكاهة وقال عنها :تفكه القوم: أكلوا الفاكهة "[2]ومن المجاز تفكه بكذا , اذا تلذذ به وجاء في القاموس المحيط تعريف مشابه لما جاء عند الزمخشري " فالفاكهة هو صاحب الثمر وفكههم بملح الكلام تفكيهاً: اطرفهم بها. والاسم : الفكهية والفاكهة , وفاكهة : طيب النفس ,ضحوك , او يحدث اصحابه فيضحكهم"[3]. والتفاكه هو التمازح , والافكوهة : الاعجوبة .

وتوسع ابن منظور في تعريف الفكاهة فقال "الفكه هو الذي تنال من اعراض الناس . ورجل فكه : يأكل الفاكهة والفاكهة الناعم المعجب"[4]

ولعل الدارس يحصي الفاظ كثيرة تلتقي مع الفكاهة في معانيها ومدلولاتها فمنها التبسم وهي لفظة تدل على " أول مراتب الضحك واحسنه "[5] والتبسم هو أكثر ضحك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن المدلولات الاخرى للفكاهة البهجة والابتهاج: وهي لفظة تدل وتعبر على اللفظة والسرور فالبهجة حسن لون الشيء ونظارته . وفي الانسان ضحك أسارير الوجه او ظهور الفرح . ومن المدلولات الاخرى البشاشة والبش : البش هو اللطف والاقبال في المسألة على الرجل وقيل : وان يضحك ويلقاه لقاء جميلا . والبشاشة بشاشة اللقاء وطلاقة الوجه ومن

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

المدلولات الاخرى البشر وتقترب هذه اللفظة في دلالتها اللغوية من البش "فهي تدل على الفرح والانبساط وابشروا واستبشر وتبشر "[6]
والبشارة المطلقة لا تكون الا بالخير . وتشترك لفظة بهج مع بشر في الدلالة على الفرح والارتياح فيتكامل ذلك الشعور بالارتياح والسرور حسا ومعنى قال تعالى(فأتينا به حدائق ذات بهجة)[7] أي ذات نظارة وجمال وحسن ,والفكاهة والابتسامة والضحك والبشاشة والبشر المرح وغيرها من الالفاظ ليست سوى تعبير عن ظواهر نفسية " وهي تصدر عن الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة فتلتمس في اللهو ترويحا عن نفسها , وتبحث في الفكاهة منفذ للتنفيس عن الامعاء عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يثقل كاهلها "[8]

الفكاهة من الناحية الادبية الاداة:

تتمثل الفكاهة من الناحية الادبية في عدة انواع وتأخذ على عناوين مختلفة منها : التغافل الادبي او التحامق الذي يتصل فيه الشاعر او الاديب , الحماقة او الغفلة ليعبر عن مشكلاته وهمومه بأسلوب يسخر فيه من نفسه , حيث ينزلها اسوء منزلة ليضحك الاخرين عليه , وهناك الغفلة الحقيقية التي تأتي الى جانب التغافل والتي تتجسد نقص في الذكاء وبلادة في الفهم , حيث يعتقد المغفل بانه شديد الذكاء وهذا ما يؤدي الى مضاعفة التأثيرات الفكاهية ,[9]

ومن اساليب التفكه (التخلص الفكهة) وهو الذي يحاول فيه الانسان تراجع عن خطئه معتمدا على سرعة بديهته , ومن الاساليب الفكاهية الاخرى اللعب بالألفاظ الذي يعتمد فيه الشاعر على التغير بالألفاظ المسموعة , والى جانب اللعب بالألفاظ هناك اللعب بالمعاني الذي يؤدي ايضا الى حالات فكاهية من خلال بعض الأساليب الفكاهية كالكتابة وغيرها [10]

ويبقى ان نشير الى وجود اساليب فكاهية كثيرة مثل المقالة وفكاهة قيل وبعد التي تتركز على مقابلة مضحكة كالمقابلة بين حالة الرجل قبل الزواج وبعده [11]

الفكاهة من الناحية الفلسفية:

لقد نال الضحك والفكاهة قسطا كبيرا من تفكير الفلاسفة منذ القديم الى عصرنا الحالي , حيث ان الفكاهة والضحك مرتبط بعامل نفسي او عقلي او اجتماعي تعكسه الفكاهة او غيرها احيانا اخرى فقد شغل الفلاسفة انفسهم بمعرفة ما هي العلاقات القائمة بين الفعل الفسيلوجي , والنشاط العقلي والنفسي , لكنهم لم يتوصلوا الى حقائق دافعة او اجابات نهائية وكان بعض الفلاسفة القدماء يضعون الضحك مقابل للحزن او البكي حتى ساد التقابل بين معنى الحزن او البكاء .فهير قليطس وهو من فلاسفة القرن السادس قبل الميلاد الذي اتخذ البكاء شعار له لأنه كما زعموا كان كثير البكاء وقليل الابتسامة وكان يلقب بالفيلسوف الباكي [12] وعلى نقيضه كان ديموقريطس[13] وهو فيلسوف اخر عاش في القرن الخامس قبل الميلاد فكان شعاره الضحك فلقب بالفيلسوف الضاحك . وبعد ذلك جاء افلاطون ليؤكد ان الضحك فعل غير محمود , فرفض ان يتكلم سكان مدينته الكلام المضحك ففي رأيه ان الانسان الكريم لا يعرف الجد الا بالهزل وانه من الحسن ان يشاهد مناظر الهزل من العبيد ولا ينغمس فيها بنفسه .[14]

الفكاهة في المعنى الديني:

لقد جاء في القران الكريم ان الكفار قد مارسوا السخرية والاستهزاء والضحك في وجه الانبياء واتباعهم ,ففرعون وقومه يسخرون من دعوة موسى عليه السلام ويضحكون لهذه الدعوة وعدم تصديقها قال تعالى (ولقد ارسلنا موسى بأياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا فاذا هم منها يضحكون)[15]وقال تعالى (فاليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)[16] وهذا وان ورد بصيغة الامر فأن معناه الاخبار , ويشير القران الكريم إلى سارة زوجة ابراهيم عليه السلام حيث ضحكت متعجبة شاكرة لله لسماعها البشرة بأنها سوف تحمل بأسحاق على الرغم كونها عجوزا عقيما (فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب)[17] والضحك بالقران الكريم بشكل عام جاء متنوع كضحك السرور وضحك الشكر وضحك استهزاء الكفار وسخريتهم من دعوة التوحيد كما وردت كلمة التبسم مرة واحدة في القران الكريم عندما ذكر الله عز وجل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

النبي سليمان عليه السلام وقصته مع النملة التي تدعو النمل لدخول مساكنها فأثار ولها تبسم سليمان عليه السلام (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليه)[18] وهكذا يتبين مما سبق ان كلمات الفكاهة والضحك والسخرية حملت معاني السرور والسعادة والاستبشار في القران الكريم للمؤمنين واستعملها الكفار الرافضون للدعوة , وكانت هذه المعاني تعبر عن نفس الانسانية في الحالات الايمانية , او الانتقام
والتحدي بين الناس نفسهم او بين الناس وخالقهم [19]

الفكاهة في الاندلس:

تحمل الاندلس معاني متميزة في الحضارة الاسلامية فقد كان لهم الشرف والتعميم محل مذكور, تكشف عنه فن الفكاهة هو اقرب ما يكون من الفنون الادبية الى البواطن والاسرار فهو عاطفة الانسان وفكره ,والمعاني التي تعبر عنها الكلمات .

ونحن ننظر الى الفكاهة وابعادها ونراها جديرة بالدراسة خاصة في الادب الاندلسي ,فلقد كان الاندلسيون يحاكون الامور الجدية بطرائف ساخرة هازلة ويحولوها الى صور تثير الاضحاك عنده الكتاب والادباء والشعراء .[20]

فنجد الفكاهة والانا المتفكهة تأتي متنوعة وتكشف عن الخبايا والابعاد النفسية والفلسفية والاجتماعية , للاعتقاد بان المعرفة في مثل هذه المواد تخفي في اثنائها اضواء كاشفة تقوم على قواعد النقد الأدبي , ومحاولة لأبراز الجانب النفسي لدى اهل الاندلس , ولقد كانت فنون الاضحاك والفكاهة تتفاوت في اثناء الوجود الاندلسي , ففي العصور الاولى من حياتهم كانت الفكاهة والضحك يقصد الى التحبيب والاستجمام وتثبيت الاواصر وتثبيتها وتوثيقها .[21]

ومع تقدم الحياة صار الاضحاك فناً ذاتيا تنشغل به الانفس التي تميل الى هذا الاتجاه الفني ,"ثم اصبح وسيلة لألهاء الامراء والملوك وبسط اساليبهم وتسليتهم , كما اصبح سلاحا في ايدي الألسنيين اصحاب البديهة المتثوبة , يدافعون به عن اصدقائهم ومواليهم , وينائون اعدائهم وانادادهم "[22] اذا فالفكاهة فن تميز به اهل الاندلس منذ قديم الزمان وطبيعي ان تحمل اليهم الحياة في تناقضها السخرية والفكاهة , كما عرفت الاندلس انواعا من التعسف وظلم اهلها , نتيجة لتعاقب انماط بشرية على ارضها كان اخر هم العرب .

والفكاهة والضحك يحتاج إلى سيكولوجية[23] معينة يتمتع صحابها بقدر كبير من الذكاء في حد ذاته وهو ما عرف عن الأندلسيين به " ان الفكاهة خير مرأة تنعكس عليها احوال كل مجتمع وما مر به من احداث , وما اكتسب من مقومات , وما اندمج في خلقه من سمات "[24]

ويرى ابن عبد ربه " ان الفكاهات والملح نزهت النفوس , وربيع القلب , ومرتع السمع , ومجلب الراحة , ومعدن السرور "[25]

الانا المتفكهة :

لا يخفى على الدارسين أن الأنا المتفكهة تستند إلى الناحية الجمالية ,والتي هي الجانب المشرق لدى الانسان ,فالضحك والجمال يحققان للإنسان الاعتدال الروحي والنفسي ,والتوافق الاجتماعي ,وهي مستوحات من الناحية اللغوية, لأنها القيمة المعنوية التي تجسدها حقائق الاشياء ,وهذا ما وجدناه عنده بعض شعراء الاندلس , وأدباءها [26], ويستدل على ذلك الاديب أبا محمد بن السيد البطليوسي كان مولع بأولاد صاحب قرطبة الذي كان لديه ثلاثة اولاد, حسون ,عزون, رحمون, وكان منظرهم من اجمل الناس صورة فقال فيهم [27]

أخفيتُ سُقمي حتى كَاد يخفيني وهمتُ في حبّ عزُّون فَعزّوني
ثمّ ارحَمُوني برَحمونٍ وان ظَمئت نَفسي الى ريق حسونٍ فحسُّوني

فأن القيمة التي توحي بها الاسماء من الناحية المعنوية , استجاشت , عند الشاعر , مما يوحي ان الضحك والتفكهة ينجم عن كل ما يبدو لنا واقعيا في صميم الحياة . وعلى هذا الاساس فأن الاحساس الجمالي يشيع الارتياح والبهجة والسرور في الانفس , فينطلق الابداع والخيال الضاحك وتبدأ الانا المتفكهة تعبر عن النواحي الوجدانية التي تنطوي عليها ظاهرة الفكاهة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

والضحك لان القيمة الجمالية نفسها , تنطوي على عناصر الفكاهة من لهو وضحك وغيرها .[28] وشاعرنا ابن خاتمة الانصاري من شعراء الاندلس الذين كان لهم شعرا مليئا بالفكاهة والاستبشار والبهجة والسرور , وكان شعره يحلق ويفيض بالقارئ في عالم الجمال وتنقل الى نفس القارئ ما يدور في نفس الشاعر ووجدانه من احساس وفكاهات وأستبشارات التي تصور ما يدور في نفس الشاعر . وقد قال مستبشرا ومتفكها بقدوم فصل الشتاء وماله من فضل على سائر الفصول [29]

جاءَ الشتاءُ بغيمهِ متحجباً أهلاً بسلطانِ الفصُولِ ومَرْحَبا (الكامل)
أعظمْ بهِ مَلِكاً عليه مهابةٌ عَمتْ كتائبُهُ الأباطحَ والرُّبا
فَصْلٌ توزعَ كُلُّ فَصْلٍ فضلهُ فنما وآنق حسنهُ أو أخصبا

يبدأ الشاعر قصيدته عن فصل الشتاء وعن فضله على سائر الفصول , ويفتتحها بأبيات تخبر بمجيء فصل الشتاء بغيومه الملبدة الكثيفة وأمطاره الكثيرة والغزيرة , ويبين فضله المتوزع على بقية الفصول [30](فالانا المتفكهة) لدى الشاعر تحس بجمال الطبيعة وتنتقل الى الحديث عن نفثات فصل الربيع الساحرة فيقول [31]

فإذا الربيعُ تبرجتْ انوارُهُ وتأرجَحتْ اسحارُهُ وتَطيبا (الكامل)
وجَلا خُلى الزهرِ النضيرِ مدبجاً ومُدمْلجاً و مُفضضاً ومُذهبا
فترى انفتاحَ الوردِ خداً احمراً وترى ابتسامَ الزهرِ ثغراً أشنَبا
وهفتْ قدودُ القضبِ هفوة منتشٍ لما سقاها الطلُ ريقاً مُحسبا
وعلتْ على شُمِ الغصونِ طُيورها تشدوكَ سَجعاً مُشجياً أو مُطرِبا

يتحدث الشاعر عن فصل الربيع مستبشرا ومبتهجا بخضرته وعنفوانه ومياهه ومحاسنه وانبعاث الحياة بعد رقدة الشتاء اذا احس بجمال الطبيعة الزاهرة [32]

واستخدم الشاعر الاستعارات التي هي الاقرب الى النفس وعلى الرغم من أجادة ابن خاتمة وقدرته الفنية الذي يمنح الالفاظ دلالات بعيدة وعميقة كما يرى القارئ في ما تقدم من تشبيه واستعارات جميلة وغيرها , غير ان ابن خاتمة اكثر من الاستعارات التي تتصل ببعض المفردات الطبيعية وصفاتها فالانا المتفكهة لدى الشاعر استطاعت ان تبرز من خلال هذه الاستعارات .

ولعل الخيري يمثل هذا الاتجاه لدى ابن خاتمة , والخيري نبات ذو زهر اصفر وابيض يعرف بالمنثور والخيري لا يفوح شذاه الا ليلاً وشاعرنا ابن خاتمة من الشعراء الذين اتجهوا الى الاستبشار والسرور البهجة في مشاهدة الطبيعة وأولوها عنايتهم , (فالانا المتفكهة) لدى الشاعر قد مزجت اغراض شعرية , والخيري عند ابن خاتمة منح صفة الانسان المريب يحاوره ويسألوه اهو نفسه العاشق المتيم فيقول في الخيري: [33]

سَلْ نفحةَ الخيريِّ في غسقِ الدُّجى ما بالُهُ لبسَ الظلامَ رداءَ (الكامل)
حقاً لعمرُكَ أنهُ ذو ريبةٍ أوْ لا ففيمَ يُحاذرُ الرُّقباءَ؟
كالصبِّ يُخفي شَجوهُ حتى إذا جَنَّ الظلامُ تنفسَ الصُّعداءَ

(فالأنا المتفكهة) لدى الشاعر استخدمت الاستعارة الاولى في الفعل (سل) حيث فتحت المجال امام خيال الشاعر ليتحاور مع نفحة الخيري في غسق الدجى ,والتي تنشر انفاسها العميقة , وتطرح (الأنا المتفكهة) سؤال حاملا استعارة اخرى (ليس الظلام رداء) فتأتي الاستعارة هنا من تجسيم للظلام وتشبيه بليغ (الظلام رداء) جعل الصورة مركبة من استعارة وتشبيه ,وفي مثل هذه الصورة الانفعالية اتجاه الاشياء بخيال يخرق المألوف ,ويحلق في السماء ويبدع في كل شيء ,ويفصح عن رؤى جمالية وابداعية لدى الشاعر تتجاوز الرؤى العادية إلى عوالم جديدة بعيدا عن رصد الحياة ,وهذا هو الابداع بذاته (للأنا المتفكهة) .

وتجدر الإشارة الى مناقشة الاستعارة ومعاينتها من حيث الجانب الدلالي , وعرض ابعاد المحورين اللذين يتقابلان في العبارة الواحدة وذلك ان الاستعارة يتصرف فيها ويتوسع ضمن سياق بعيد عنها بحيث يحصل " امتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا تجود بينهما منافرة , ولا يتبين في احداهما عن الأخر"[34] , بل يتعايشان معا وهذا يتطلب أدراك القيمة الدلالية والجمالية للاستعارة معتمدا في ذلك على الذوق اللغوي .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

وقال متفكها في مطيب خيري احمر واصفر اتى به اسمر: [35] (البسيط)

يا رُبّ أسودَ وافانا وفي يدِهِ مطيّبٌ راقَ من خيريه نسقُ
لا غروَ أهدى لنا رياهُ عاطرةً ففخةُ النور يذكي طيبها الغسقُ

تربط (الأنا المتفكهة) لدى الشاعر ببراعة فائقة بين ازهار الخيري ,وبين الرجل الاسود, في صورة طريفة للأزهار الخيري التي لا يزكي طيبها الا الظلام , كما وربط الشاعر بين الاسود وروائح الخيري ,الذي حملها حين جعله معادلا للغسق , والاستعارة في (اهدي ريائه عاطرتا) فيها غرابة, لان عطر ازهار الخيري لا يكون الا مع الغسق.

وقال , وبعث بها مع المطيب الخيري الى سيد سري [36]

ودُونكهُ أذْكى نديمٍ مُساعدٍ على الأنسِ في جوفِ الدُّجُونِ وأكتما (الطويل)
يُناجيكَ ما امْتدَّ الظلامُ بسرهِ فإنْ لاحَ واشي الصبحِ أبدى تكتما
قدِ احمر ثم لاعنْ ضغينةٍ ولكنهُ هابَ العُلا إذ تقدما
فمهدْ لهُ جنبَ السرورِ تفزْ بهِ على قلةِ الندمى نديماً مُسلما

وفي صورة اخرى يهدي الشاعر زهرة الخيري مع ابيات الى صديقه وهي اكثر طرافة وفكاهة , يقدم ابن خاتمة الخيري باعتباره نديما ومصاحبا وجليسا , على الانس كتوما للسر ,يناجيك سيره مع امتداد ظلام الليل الدامس , وقد استعانت (الانا المتفكهة) لدى الشاعر بالاستعارات لرسم معاني عميقة وناطقة , ونابضة بالحيوية والجمال والحياة , حيث كانت القدرة لدى الشاعر على الربط بين الاشياء للتعبير عن رؤى تكون متفكهة وظريفة احيانا في وجدان الشاعر واحيانا تكون في عالم اللاشعور , حيث تعجز الانا المتفكهة لدى الشاعر عن الافصاح عنها وتمنعه من ذلك القيم والعادات والتقاليد الدينية والاجتماعية .

وقال مرتجلا يصف يوما من ايام الربيع البديعة [37] (البسيط)

غيمُ سَما , أمْ دُخانُ نَدٍّ قطرٌ همى , أمْ مِياهُ وردِ
وهذهِ روضةٌ تجلتْ لناظري أم جبانُ خُلدِ
وقضبها الملدُ أمْ قدودٌ وَشحها زهرُها بعقدِ
وبلبلُ الروضِ ما تغنى أمْ غادةٌ روعتْ بصدِّ

فالشاعر ابن خاتمة في هذا المقطع الشعري يصف وصفا جميلا ولكن ليس مجرد ما تراه عيناه , بل لينقل ما يروم داخل نفسه واحساسه وشعوره للمتلقي او القارئ نحو هذه المشاهد الطبيعية فهو حين يصف لنا الغيم لم يوصف لونه ولا كثافته , بل يصف شعوره وبشائر الخير والطمأنينة النفسية لديه , فيتصل دخان الغيم بعطر الجو الماطر وأراد لهذه الصورة التي شغفت بها نفسه وانفعلت لها بتأكيدها فتسأل متجاهلا (غيم السما ام دخان الندى)

والشاعر هنا يشبه مياه الامطار التي تنهمر من السماء بمياه الورد , اما البساتين والاشجار وغيرها من حوله في هذا الجو الماطر اللطيف والبهيج , لم تتجل لناظريه الا جنان الخلد , ففي تصوير الشاعر هي اقرب اليها من روضة تتجلى لدى الناظر , لما تشعر به (الانا المتفكهة) من رضا لنفسه , وهي الطبيعة الاندلسية المشهورة التي تثير النفوس بالخير وتبتهج من اجلها فهو وصف من تشبيه جميل ورائع المعروف .

وقد عبر الشاعر ابن خفاجة عن تلك الطبيعة التي تبعث الخير والبهجة في النفوس حين قال [38]

يا أهل الاندلس لله دركم ماءٌ وظلٌ وانهارٌ واشجارُ
ما جنة الخلد الا في دياركم وهذا كنتُ لو خيرتُ اختارُ
لا تثقوا بعدها ان تدخلوا شقراً فليس تدخلوا بعد الجنة نارُ

ان الشاعر ابن خاتمة ومن خلال ما تقدم ذو قدرة عالية في توظيف التشبيه ليصل الى سامعه من معاني وجدانية , وقد استخدم تشبيهات مختلفة في ذلك .

قال متفكها في خلعةٍ مونقة على طلعة مشرقة [39]

مَراكَ ما التاحَ في حُو السفاسير[40] أمْ بدرُ تم تجلى في الدياجيرِ[41] (البسيط)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

وتلـــكَ فُوطتُـــك الزرقـــاءُ تُحدقُـــهُ أمْ هالـــةٌ حـــدثتْ عـــنْ ذلـــكَ النـــورِ
وســـمرةُ الخـــالِ ذي أمْ وشـــمُ غاليـــةٍ فـــي صـــفحِ خـــد بِمعنـــى الحُســـنِ مســـطورِ

فالانا المتفكهة لدى الشاعر قد شبهت هنا الخادم بالبدر ولكن ليس بدرا مجردا انما اضافت اليه وصفا جديدا وهو التجلي في الظلمات , ليزداد جمالا وحسنا وبهاءا وكذلك يشبه الخال بوشم غالية في صفحة الخد وانه وسم بمعنى الجمال والحسن المسطور فالشاعر هنا اتى بهذه التشبيهات من باب الفكاهة والطرافة بأسلوب اكثر من رائع , ومتميز , كما اتى بالتشبيهات على طريقة تجاهل العارف لأيهام المتلقي والسامع ان الشـــاعر لا يســـتطيع ان يفـــرق بـــين المشـــبه والمشـــبه بـــه وقـــال فـــي نفـــس المعنـــى [42]

قـــدُكَ فـــي ملبســـكَ الـــوردي أم آســـةٌ تختـــالُ فـــي وردِ (البســـيط)
ووجهـــكَ الأســـعدُ مـــن فوقـــه أم قمـــرٌ قـــد لاحَ بالســـعدِ
ظبـــيٌ وأيـــن الظبـــيُ مـــن تيهـــهِ وغُنجـــهِ والـــردفِ والقـــدِّ
يختـــالُ إذ يلتـــاحُ فـــي ملـــبسٍ كأنمـــا حيـــكَ مـــن الـــوردِ
وقـــال متفكهـــا فـــي ملاطفـــة ام الحســـن [43]

أحســـنتِ أحســـنتِ ام الحســـنْ لقـــدْ جئـــتِ بالحُســـنِ فـــي كُـــل فَـــنْ (المتقـــارب)
مُحيـــا عجيـــبٌ وشـــخصٌ طـــروبٌ وســـجعٌ أديـــبٌ وصـــوتٌ حســـنْ
ألا بـــدلي يـــا ابنـــةَ الحســـنيين فصـــلِ الربيـــعِ ووجـــهِ الـــزمنْ
وقـــال فـــي غـــلام مستبشـــرا ومرتقبـــا بقـــدوم هـــلال عيـــد الفطـــر: [44]

يـــا حســـنةُ لهـــلال الفطـــر مرتقبـــاً كالبـــدر أشـــرق فـــي داجٍ مـــن الغســـقِ (البســـيط)
أوم إليـــه بعينيـــه وغـــازلني فقلـــتُ والصـــبُّ مفطـــورٌ علـــى القلـــقِ
لُقيـــاكَ عيـــديْ ومـــراك الهـــلالُ وفـــي لمـــاكَ فطـــري فمـــا أبغـــي لـــدى الأفُـــقِ؟!

ان الانا المتفكهة لدى الشاعر شبهت الوجه بالبدر والشمس وهي من التشبيهات المتداولة والشائعة التي لا تستدعي الاستغراق في التفكير ؛ لأن الصورة التشبيهية واجهة المعالم , مضافا الى ذلك التصريح بذكر وجه الشبه ما احسنه ووجود أداة التشبيه التي تقرب المسافة بين طرفي التشبيه .

وقال متفكهاً[45]

أعطرْ بخيرينا نسيماً كأنهُ في الظلامِ ندُّ (البسيط)
لكنهُ يختفي نهاراً فهوَ لزهرِ الرياضِ ضدُّ

ان الشاعر ابن خاتمة متأثر بالبيئة الجميلة التي تحيط به فأدخل وصفها في شتى الفنون الشعرية التي نظم بها , فنجده مغرما بزهرة الخيري وعطرها الذي يعبق أريجه ليلا بسبب حيائه , فيقيم الشاعر موازنة من خلال اسلوب التشبيه الذي ساعد في تقريب الصورة , فقد شبه رائحة الخيري برائحة النسائم التي تهب ليلا وقد ذهب الشاعر الى هذا التشبيه لما فيه من ابعاد فنية استغلها تحت لوائه فالعاشق حسب قول الشاعر يتوق الى الوصول الى محبوبته وتعطير انفاسه من رائحتها وهذا ما جاء به الشاعر من قوله (أعطر بخيرينا) فالشاعر لا يريد عطر الخيري بمعناه الحقيقي , بل أراد عطر المحبوبة ونشر أريجها مع هبوب النسائم , ثم أعقب بعد ذلك ذكر خفاء الزهرة نهارا , فالزهرة لا يختفي وجودها في النهار , بل الحبيبة هي التي تختفي في ضحى النهار خوفا من كشف أمرها , ثم أردف بذكر تلك الزهرة بأزهار الرياض .

وقال متفكهاً وقد اهداه احد الاخوان طروساً على ألوان [46]

يا جارياً من سبيل المجدِ في طلقٍ مُقيداً منْ عُلاهُ كُل إطلاقِ (البسيط)
أتتْ هداياكَ في ألوانها طرفاً كالروضِ في ثوب أزهارٍ وأوراقِ
هذي طُروسٌ أم الطاووسُ أم قُزحٌ أم الحدائقُ تُجلى نصبَ أحداقِ
كأن ما احمر منها بين أخضرهِ خلالَ أصفرهِ طاقاً على طاقِ

يقول الشاعر متفكها لهدايا من احد الاخوان لان الهدايا تعددت ألوانها ونفاستها وهذا ما احدث في نفس الشاعر من بهجة وسرور وقد شبهها الشاعر بفعل ألوان ازهار الروض وعبيرها في النفس , بما تحققه من انبساط وانشراح , فاستعار الشاعر للهدايا الوانا لطرافتها ؛ لأن لها هيئة معلومة في التلون , فالتلون والتنوع اللذان

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد الرابع عشر– آب 2022 – صفر 1444 ISSN-2536-0027

يؤلفان او يشكلان حقيقة هذه الألوان في أزهار الروض موجودة في المستعار له وهو الهدايا وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني " ان يرى معنى الكلمة المستعارة موجودا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة "[47] , وذلك لان أصل التلوين يكون في الأزهار وهو في الهدايا استعارة , لأنه قال في ألوانها فقرب هيأتها من هيئة حال الازهار .

خلاصة البحث:

لقد شكلت الأنا المتفكهة في شعر ابن خاتمة مقطوعات قصيرة , وقد تناول فيها موضوعات متفرقة اشتمل على الاستبشار بقدوم فصل الشتاء وتلبد الغيوم, وكذلك الاستبشار بقدوم فصل الربيع والبهجة التي يتركها في النفوس , وكذلك البهجة والسرور التي وقعت بالنفس من الهدايا التي أتت من أحد الأخوان .

الهوامش :

[1] – المخصص , علي ابن اسماعيل المعروف بابن سيدة الاندلسي ,المطبعة الكبرى الاميرية, مصر , ط1 ,1317 هجرية.

[2] – اساس البلاغة , محمود بن عمر بن محمد الزمخشري , دار الصادرة بيروت , 1979 , مادة فكه.

[3] – القاموس المحيط , الفيروز ابادي , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1987 , مادة فكه .

[4] – لسان العرب, مادة فكه .

[5] –القاموس المحيط , مادة تبسم .

[6] – لسان العرب , مادة بش .

[7] –سورة النمل الأية 60

[8] –البخلاء , الجاحظ عمرو بن عثمان بن بحر الكناني , تحقيق :طه حاجري , دار المعارف , ص 902.

[9] –ينظر :خزانة الادب وغاية الارب , ابن حجة الاموي , مطبعة القاهرة , مصر , ص 47 –97.

[10] –ينظر :المصدر السابق , ص110 –122.

[11] – الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي , المكتبة العصرية , بيروت , صيدة , ط1 , 1998, 33.

[12] –ينظر: الفلسفة اليونانية , احمد امين , زكي نجيب محمود , دار الكتب المصرية , القاهرة , ط2 , 1935 , ص57 .

[13] –ينظر :المصدر السابق , ص 50–57 .

[14] –المصدر نفسه , ص 137–140 .

[15] –سورة الزخرف , اية 47 .

[16] سورة التوبة ,اية 82.

[17] سورة هود ,اية 71.

[18] النمل ,اية 19.

[19] ينظر:الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي,ص40.

[20] –ينظر :ادب الفكاهة الاندلسية , د. حسين خريوش , جامعة اليرموك , اربد , الاردن , 1982, ص5.

[21] –ينظر :ادب الفكاهة الاندلسية , ص4.

[22] –دراسات فنية في الادب العربي عبد الكريم اليافي , مطبعة جامعة دمشق , ط1 , 1963م , ص576 .

[23] –ينظر: ادب الفكاهة الاندلسية ,ص6.

[24] سيكولوجية الفكاهة والضحك ,د. زكريا ابراهيم ,مكتبة مصر ,ص78 .

[25] –العقد الفريد, لابي عمر احمد بن محمد ابن عبد ربة, الاندلسي,شرح وترتيب:احمد امين , واحمد الزين ,وابراهيم الابياري ,مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ,القاهرة , 1942م, 3|306.

[26] – ينظر: ادب الفكاهة الاندلسي , ص16.

[27] – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب , ص 3\287 .

[28] – ينظر :ادب الفكاهة الاندلسي , ص 17.

[29] – ديوان ابن خاتمة , ص119.

[30] – ينظر : المصدر السابق , ص120.

[31] – المصدر نفسه , ص119.

[32] – ديوان ابن خاتمة, ص120.

[33] – المصدر السابق , ص125.

[34] – العمدة في صناعة الشعر ونقده , ابو علي الحسن بن رشيد القيرواني, تحقيق : السيد محمد بدر الدين الحلبي , ط1 , الناشر مكتبة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه , مصر , 1907م , ص 1\182.

[35] – ديوان ابن خاتمة , ص126.

[36] – المصدر السابق , ص126.

[37] – ديوان ابن خاتمة , ص122.

[38] – ديوان ابن خفاجة , ص364.

[39] – ديوان ابن خاتمة , ص134.

[40] – السفاسير : جمع السفسير وهو الخادم , (القاموس المحيط).

[41] – الدياجير : جمع ديجور , وهو ظلام الليل , (المعجم الوسيط) .

[42] – ديوان ابن خاتمة , ص135.

[43] – المصدر السابق, ص124.

[44] – المصدر نفسه , ص141.

[45] – ديوان ابن خاتمة , ص125.

[46] – المصدر السابق , ص147.

[47] – اسرار البلاغة ,عبدالقادر الجرجاني , مطبعة محمد علي صبيح واولاده , القاهرة , 1977م ,ص55 .

المصادر والمراجع :

1. المخصص , علي ابن اسماعيل المعروف بابن سيدة الاندلسي ,المطبعة الكبرى الاميرية, مصر , ط1 ,1317 هجرية.
2. اساس البلاغة , محمود بن عمر بن محمد الزمخشري , دار الصادرة بيروت , 1979 , مادة فكه.
3. القاموس المحيط , الفيروز ابادي , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1987 , مادة فكه .
4. –البخلاء , الجاحظ عمرو بن عثمان بن بحر الكناني , تحقيق :طه حاجري , دار المعارف .
5. –ينظر :خزانة الادب وغاية الارب , ابن حجة الاموي , مطبعة القاهرة , مصر .
6. الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي , المكتبة العصرية , بيروت , صيدة , ط1 , 1998.
7. –ينظر: الفلسفة اليونانية , احمد امين , زكي نجيب محمود , دار الكتب المصرية , القاهرة , ط2 , 1935 .
8. –ينظر :ادب الفكاهة الاندلسية , د. حسين خريوش , جامعة اليرموك , اربد , الاردن , 1982.
9. –دراسات فنية في الادب العربي عبد الكريم اليافي , مطبعة جامعة دمشق , ط1 , 1963م .
10. سيكولوجية الفكاهة والضحك ,د. زكريا ابراهيم ,مكتبة مصر .
11. –العقد الفريد, لابي عمر احمد بن محمد ابن عبد ربة, الاندلسي .
12. احمد امين , واحمد الزين ,وابراهيم الابياري ,مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ,القاهرة , 1942م.
13. العمدة في صناعة الشعر ونقده , ابو علي الحسن بن رشيد القيرواني, تحقيق : السيد محمد بدر الدين الحلبي , ط1 , الناشر مكتبة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه , مصر , 1907م.
14. اسرار البلاغة ,عبدالقادر الجرجاني , مطبعة محمد علي صبيح واولاده , القاهرة , 1977م .

CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL